مواقف طريفة مع الشيخ عبد الحميد كشك

بين عامي 1923 و1996 عاش الرجل العظيم عبد الحميد كشك، خطيبًا لسنًا فصيحا، ويعد من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم الإسلامي، بعد أن خلف وراءه أكثر من 2000 خطبة مسجلة، ومائة وثمانية كتاب!

وبدأ من وقت مبكر صعود المنابر، والتحدث مع الناس بخطب مميزة لافتة، جعلت منه مدرسةً دعوية خاصة، كان يسميها (مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم) وكان الشيخ لا يعجبه الحال الأعوج ولا المتطاولين على دين الله ، فكان لا يخاف في الله لومة لائم ، ويا ويل من يتكلم عنه الشيخ كشك في خطبته فقد كان رحمه الله قناة فضائية يخطب يوم الجمعة فتنتشر أشرطته في العالم يوم الأحد

لكن أروع ما حصل لشيخنا على الإطلاق خاتمته الحسنة التي لقي الله تعالى عليها – نسأله تعالى أن يحسن خواتيمنا – إذ توضأ في بيته لصلاة الجمعة، وكعادته كان يتنفّل بركعات قبل الذهاب إلى المسجد، فدخل الصلاة وصلى ركعة، وفي الركعة الثانية، سجد السجدة الأولى ورفع منها ثم سجد السجدة الثانية، وبقي ساجدًا بعد أن فاضت روحه إلى بارئها! فهنيئًا له حسن الخاتمة ، وقد سمعت الشيخ محمد حسان في محاضرة له بعنوان (حان وقت الحصاد) يقص رؤيا مبشرة يقول رأيت الشيخ عبد الحميد كشك في الرؤيا جالسا أمامي فقلت له : مالك زعلان ليه يا شيخ عبد الحميد ؟ فقال له ايه يا محمد حد يكون في الجنة ويزعل !!!

وفي سماعك لحديث الشيخ كشك اللاذع في سخرية، الظريف في مرارة، المضحك في سوداوية، تتذكر مباشرة قول الشاعر:

لا تحسبوا ضحكي بينكم طربًا فالطير (يرقص مذبوحًا) من الألم

وقد نقل بعض محبيه بعض طرائفه العفوية أثناء خطبه أو قفشاته، ومن لاذع أقواله وطريفها:

يروى عن الشيخ أن مسجده كان مزدحمًا جدًّا ذات جمعة، فقال:إخوانّا المباحث اللي في الصف الأول يِتْأدّموا – يتقدمون – علشان إخوانهم المصلين اللي في الخارج يعرفوا يصلوا!

وذات مرة قال: اللهم صل على الصف الثاني، والثالث، والرابع.

فقيل له: واللي في الصف الأول يا شيخ؟ ليه ما دعيتش لهم؟!

فقال: دا الصف الأول كله مباحث يا اخوانّا!

وكان يقول: الظلم تسعة أعشاره عندنا في السجن، وعُشْرٌ يجووووب العالم كله، فإذا أتى الليل بات عندنا!

وعن حياته في السجن كان يقول عن الطعام: في السجن جابوا لنا سوس مفوّل، مش فول مسوس؛ باعتبار أن السوس في الطعام كان أكثر من الفول!

واعتقل ذات مرة، فسأله من يحقق معه؛ متجاهلًا سن الشيخ ومقامه: اسمك إيه؟ فقال: عبد الحميد كشك/ بتشتغل إيه؟ فرد الشيخ ساخرًا: مساعد طيار!

وقال عن صدام قبل غزو الكويت: أول ساندويتش حياكله صدام: الكويت!

وكان يقول عن بابا النصارى، ناعيًا أن المسلمين لا رأس لهم: آه ياني، يللي مالناش بابا..

وكم كان يسخر من الممثلين والمطربين المعروفين، ومن كلمات الأغاني التي لا تعجبه، ويتخذ من ذلك مادة لفكاهته؛ فمن مأثوراته الساخرة التي ذاعت عنه:

كنا نبحث عن إمامٍ عادل، آمْ طِلِعْ لِنا عادل إمام!

وهاجم أم كلثوم ذات مرة: امرأة في السبعين من عمرها تقول: خدني لحنانك خدني.. يا شيخة ربنا ياخدك وتريّحينا!

وقال عن عبد الحليم حافظ: وهذا العندليب الأسود عندنا ظهرت له معجزتان: الأولى أنو بيمسك الهوى بإيديه، والتانية أنو بيتنفس تحت الماء!

وفي إحدى خطبه قال: مواطن من الإسكندرية يسمى "شعبان رجب السيد" هرب ابنه الذي لا يزيد من عمره عن عشر سنوات، فقال المواطن: إذا لم يعد ابني فسوف أرفع دعوى على التلفزيون.. لماذا يا شعبان؟ قال لأن ابني فتح الدولاب وسرق مائة جنيه وهرب.. فما ذنب التلفزيون؟

لأن صلاح السعدني قام بنفس هذا الدور في تمثيلية " الليلة الموعودة " فأراد الغلام أن يقلد السيد صلاح السعدني؛ حيث لا صلاح، ولا سعد هناك!

يعني إعلام مدمر مفيش حاجة طول النهار مافيش غير أقابلك فين؟ وأقولك إيه؟ يبقى الواحد طالع على باب الكريم بيقول: يا فتاح يا عليم، بدل ما يقولوا له في الراديو: اتق الله ولا تأكل حرامًا.. لأ.. يسمع محرم فؤاد بيقول: رمش عينه اللي جرحني..جرحكِ؟! هو رمش عينه موس حلاقة يا ولد؟ هو إيه؟

· بستغرب من الناس بتوع العربيات زي اللي راكب تاكسي وكاتب عليه إيه: يا ناس يا شر بطلو قر؛ جاتك خيبة، طيب اكتب ما شاء الله لا قوة إلا بالله! قر إيه؟!

· زي اللي كاتب على العربية بتاعته إيه: اللي ماشي ورايا مغفل، واللي كان ماشي وراه بتاع المرور، قال له: تعال.. يبقى أنا مغفل؟ والله غير معلمك الأدب!

· زي اللي يركب عربية وكاتب عليها...كايداهم! كايدة مين يا حبيبي؟ كايدة ألمانيا؟ كايدة إسرائيل؟ كايدة مين يا غلبان؟!

· خدوا السيد الأبنودي يومين في طره.. وبعدين احنا قاعدين معاه قال:

الواحد يعني لازم يقدم للبلد خدمات ومواهب، فقلت له: حضرتك قدمت إيه من المواهب؟ قال: انتم مش عارفني؟ والله بنحب نتشرف يا بني.. قال دا أنا فلان مؤلف أغنية تحت الشجر يا وهيبة!

ما شاء الله، إيه دا؟ إيه الفتوح دي والتجلي دا؟ إيه يا واد يا بتاع وهيبة انتا!؟ إيه العظمة دي يا سيدي؟ تحت الشجر يا وهيبة؟! إسرائيل بتجيب صواريخ هوك وطيارات إف 15 وإف 16 واحنا أُف منكم! إيه يا وهيبة إيه!

..... روسيا طلعت القمر وأمريكا طلعت القمر، واحنا لسة القمر بتاعنا على الباب! مش عارف إمتى بقى راح يسيب الباب!

.... وعن الناس الذين يربون الكلاب في بيوتهم قال: الناس نايمة على الرصيف ودا عامل للكلب غرفة لوحده، وبيبقوا نايمين على الرصيف الواحد يقول للتاني: إيه وسّع شوية يا أخي، يرد عليه: انت عاوزني أنام في الشارع؟!

• ويبقى الناس مش ملاقية مواصلات، وتلاقي بيجو دا هو باصص من شباك الشيفروليه، وانت واقف على المحطة بقالك ثلاث ساعات، والكلب باصص لك، وبيضحك لك بابتسامة زرقة بنت كلب!

حتقول إيه يعني؟ شيفورليه ومرسيدس واحنا مش لاقيين حمار سيدس! حتعمل إيه؟ تقول يعني:يا ليتني كنتُ... وحد الله وقول لا إله إلا الله، النهار ده فيه كلاب أحسن من موظف درجة رابعة... يعني الكلب إذا ما كملش كيلو الكباب.. تلفون يضرب للدكتور البيطري: – يا بيه/ – نعم يا مدام؟/ – ده بيجو ماكملش ال....أنا خايفة يكون في حاجة في الجهاز الهضمي!

• ..... الناس زمان كان فيها خير والله حتى العيال الصغيرة في المدارس حتى الأناشيد اللي كنا بنحفظها زمان كانت تعلمنا الأخلاق والأدب، كان بيقول لك:

كم يا أبي لك من يدٍ	عندي وكم لك من أثر
أنت الذي ربيتني	ورعيتني منذ الصغر
وكسوتني وغذوتني	ووقيتني شر الغِير
فإذا ألم بي الضنا	حل الأسى بك والسهر

تدعو الطبيب ولا تني	حتى يجاوزني الخطر
وأفدتني العلم الذي	هو كنز مالي المدخر
وتظل تكدح في الحيـ	ـاة لحاضري والمنتظر
هو يا أبي دينٌ عليّ	أرده عند الكبر

امبارح بقول للواد ابني اللي في تالتة ابتدائي: أخدتم إيه أناشيد؟ أنا بفكر انهم بياخدوا الأناشيد بتاعتنا اللي بتخلي الواد يحترم أبوه، قال لي:

أخدنا نشيد القطة مشمشة!

قلت له: قوله..قوله.. بتعرف...اسمع ياسيدي..اسمع التعليم بتاع التربية والتعليم يا خويا، أنا حفظته أعمل إيه؟ اسمع يا سيدي:

يا حلاوة القطة مشمشة	في وسط عيالها مفرفشة
بتقول لهم بالنَّوْنَوا	أكل الفيران ليكم دوا
بخاف عليكم من الهوا	لو كلب صاح واللا عوا

الله أكبر يا سيدي.. يا دي تربية!

عفريت تحت السرير

ويرسم لنا صورة ساخرة وموجعة: زوج يطرق الباب، فتفتح له زوجته مرتبكة، ثم ترجوه: روح هات لنا عيش، ويعجب الزوج لماذا تصمم على نزوله قبل أن يدخل بيته، وإذا بطفله الصغير ينادي: يا أبتاه، في عفريت تحت السرير، عفريت من الإنس أم عفريت من الجن يا بني؟

ويدخل الزوج ليرى العفريت: ما نوعه؟ ما جنسه؟

يرى ذئبًا آدميًّا ينام تحت السرير كما ولدته أمه، من أين جاء؟

من أين جاء ذلك الذي يرابط تحت سرير زوج وزوجة؟

ولماذا تريد الزوجة من زوجها أن يشتري لها العيش، وقد خانت العيش كله، وخانت الملح كله، وخانت المعاشرة كلها؟ أتدرون من ذلك الخائن يا سادة؟

إنه جاره، والحبيب محمد يقول "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" هذا حق الجار على جاره في مجتمع التطور والعصرية!

ويقول: رزق مواطن مصري مولودًا فأبى أن يسميه محمدًا أو عبد الله. سماه كارتر، كارتر، مواطن مسلم، مسلم، والمولود الثاني سوف يسميه فورد، والثالث نيكسون، والرابع جونسون، والخامس كيندي، والسادس إيزنهاور، إلخ..

هل سمعتم في أمريكا أمريكيًّا رزق بمولود فسماه محمدًا؟

لماذا النفاق؟ لماذا هذا الأسلوب الرخيص يا أبا كارتر؟

أتنتظر من السفارة الأمريكية أن تمنحك عشرة جنيهات؟

اجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

ويقول: لما رخصت لحوم النساء في الحرام ارتفعت أسعار اللحوم عند الجزار،

لما وقفنا طوابير على شبابيك تذاكر الأفلام، وقفنا طوابير على أبواب الجمعيات من أجل كيلو من اللحم يعلم الله وحده من أي الذبائح هو؟

لما حقد بعضنا على بعض، ارتفعت الأسعار..

لما استبدلنا بالحلال الحرام، وعزف الشباب عن الزواج، اشتدت أزمة المساكن،

لما اختلطت لحوم الرجال بالنساء في المواصلات رفعت من البيوت البركات، لأن الله تعالى هيأ للمرأة عملًا واحدًا، إذا عملت سواه خُربت البيوت وأُطفئت مصابيحها، إن هذا العمل الذي وكل الله به المرأة هو بيتها، فلما خرجت النساء من البيوت كانت في البيوت مصابيح أُطفئت أنوارها، وأصبح الأطفال وديعة في أيدي الحاضنات، والحاضنة لا تراعي الله ولا تعرف رسول الله.

وعن أحد التحقيقات الصحفية المنشورة يقول: تحقيق صحفي مع من؟

- مع عالم من علماء الذرة؟

- مع طبيب اكتشف لشلل الأطفال علاجًا؟

- مع مهندس اخترع محركات طائرة؟

تحقيق صحفي مع طفلة لا يزيد سنها على السنوات العشر! ماذا فعلت؟ ماذا أنتجت؟ إنها متخصصة في النشل، تعمل نشالة في خط المطرية، قالت بلسان المقال:

إن دخلي في اليوم الواحد، يبلغ كذا وكذا، وهذه الطفلة متخصصة في نشل ركاب القطار، وفي الطوابير المزدحمة على الجمعيات الاستهلاكية، هذا تخصصها، تخرجت في مدرسة جبل الجيوشي، وحصلت على أعلى الدبلومات في شق الجيوب، أناملها سحرية، حصيلتها في اليوم كذا..

سألها الصحفي، ألم تندمي مرة واحدة على ضحية من ضحاياك؟

قالت: ندمت مرة واحدة بعد سرقة لسيدة، لم أجد فيه إلا خمسة عشر قرشًا، وروشتة لم تصرف دواءها!

شعب بائس، لسنا في حاجة إلى أفلام، ولسنا في حاجة إلى أقلام مسمومة، لسنا في حاجة إلى هذا الهزل المستمر ليلًا ونهارًا!

وعن هوس الكرة يقول: التقيت بأحد رجال بورسعيد يوم الاثنين الماضي، فرأيته

حزينًا، قلت: سبحان الله، زعلان ليه؟! أتدرون لماذا يحزن؟ لأن الأهلي أحرز هدفًا في المصري!

فأردت أنا الآخر أن أدخل معه في نقاش، حتى أثبت أنني لست رجعيًّا، قلت له: ماذا فعل زيزو؟ وماذا كان موقف الخطيب؟ وما رأيك الشخصي في سيد عبد الرازق؟ وماذا تقول في حسن شحاتة؟ فقال: يا سي الشيخ: عندك معلومات تمام، فقلت: أبدًا:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيًا	تجاهلت حتى قيل إني جاهـل
فواعجبا كم يدعي الفضلَ ناقصٌ	ووأسفا كم يظهر النقص فاضل

ويسخر من حلول دعاة تحديد النسل فيقول: عجبت لبعض عباقرة مصر وهو يقترح لحل أزمة الغلاء: من لم يحدد نسله فاجعلوا للولدين الأولين نصيبًا في التموين، أما الولد الثالث فلا نصيب له في السكر والشاي، وإذا تعلم يجب ألا يتعلم مجانا/ امنعوه الشاي والسكر، وامنعوه وامنعوه، حتى كاد يقول: امنعوه من رحمة الله، أهذا كلام؟ ويقول معلقا بدل ما تطالبوا بتحديد النسل ؛ حددوا النشل ...ايوه حددوا النشل ، اصطلحوا مع الله .

والحديث عنه يطول ، رحمه الله وجمعنا به في الجنة.. آمين.